المجلد:18 العدد:02/ مارس2023
ص: 512 - 525
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

تجليّات الانزياح في الدّرس العربي بين التّأصيل والتّجديد

MANIFESTATIONS OF THE GAP IN THE ARABIC LESSON BETWEEN AUTHENTICATION AND RENEWAL

د.حليمة صوفي*
[1] مركز البحث في علم الإنسان الاجتماعي والثّقافي-وهران /الجزائر h.soufi@crasc.dz

تاريخ الإرسال: 2022/10/31	تاريخ القبول:2023/01/06	تاريخ النشر: 2023/03/28

****

ملخّص:

تعدّ البلاغة العربيّة من أهمّ العلوم اللّغويّة التي خدمت اللّغة العربيّة والقرآن الكريم، خصوصا في عصورها الذّهبية، غير أنّها ارتدت ثوب المعيارية في عصور ضعفها، فتمّ تجاوزها في الدّراسات النّقديّة الحديثة، لكن لم يصل ذلك إلى حدّ القطيعة المعرفيّة، بل عرفت تطورا ألبسها حلّة علم جديد يدعى الأسلوبيّة. وتعدّدت مباحث الأسلوبيّة ومصطلحاتها وآليات اشتغالها، وتعتبر ظاهرة الانزياح من أهم القضايا اللّغوية المندرجة ضمن مباحثها، فهي تتعلق بالمعنى، وتشكّل ركنا ركينا بها، حتى سماها بعض الأسلوبيين بعلم "الانزياحات ".

وجاءت هذه الورقة البحثيّة كمحاولة لتأصيل الدّراسة الأسلوبيّة في التّراث العربي من خلال تقصّي مفهوم الانزياح باعتباره نقلة لغويّة هامة من معياريتها إلى جماليتها، والبحث في محاولات ضبط المصطلح منذ أن ظهر كملمح في تصوّرات العلماء بموروثنا البلاغي العربي، فحاولت ملامسة أبعاده ومراميه، إلى أنصار محور اهتمام الباحثين العرب المعاصرين، حين حاولوا تتبع المصطلح منذ أن كان مجرد إرهاصات بالتراث العربي القديم إلى أن تجاذبته الدّراسات الأسلوبيّة الحديثة، فتباينت مفاهيمه وتعدّدت مصطلحاته.

الكلمات المفتاحيّة:الانزياح،العدول،الشّعريّة،البلاغة،الأسلوبيّة.

***ABSTRACT* :**

Arabic rhetoric is one of the most important linguistic sciences that served the Arabic language and the Holy Qur'an, especially in its golden ages. There are many stylistic topics and terminology, and displacement is one of the most important issues included in its topics, as it is related to meaning, and constitutes a cornerstone in it, until some stylists called it the science of displacements.

This paper came as an attempt to root the stylistic study in the Arab heritage by investigating the concept of displacement, and researching attempts to control the term since it appeared as a feature in scholars' perceptions of our Arab rhetorical heritage, until it became the focus of the attention of contemporary Arab researchers, they tried to follow the term since it was just foreshadowing The ancient Arab heritage until it was attracted by modern stylistic studies, so its concepts and terminology varied.

***Keywords*: Gap, regression, poetics, rhetoric, stylistics.**

*د. حليمة صوفي

المقال: (Sakkal majalla (16); interlignes: 1)

1. مقدمة:

حظي الانزياح كظاهرة أسلوبيّة باهتمام كبير من قبل النّقاد في العصر الحديث، وذلك لما تضطلع به من دور كبير في بناء القصيدة العربيّة، ولما تنطوي عليه من إمكانيات تعبيرية وإيحائيّة وجماليّة تتيح للشاعر القدرة على الارتقاء إلى مرتبة الإجادة والإبداع، كما تعدّ هذه الظاهرة انعكاسا للكثافة الشعوريّة المتراكمة في نفس الشاعر، والتي تمكّن النّاقد من الوصول إلى الفكرة المستبدّة بذهنه، والمسيطرة على حسّه، والتي تظهر في شكل حلقة كلامية خارجة عن المألوف تظهر في شكل طاقة خلاقة تشكل صدمة معرفيّة لدى المتلقي تلامس فكره وخياله، وتداعب حسّه وذوقه .

والدارس لظاهرة الانزياح يلحظ تعدّد التّعابير الاصطلاحيّة الموازيّة لهذا المصطلح، فمنها: الشذوذ اللّغوي، والجسارة والغرابة اللّغويّة، العدول، والانتهاك، والتّجاوز، والجنون، والمجاورة، والتّشويه، والابتكار، والاتساع، والخرق، والخلق، والغرابة، والجسارة اللّغوية، والانحراف...ويعمل الانزياح على منح العبارة لغة إيحائيّة خاصة بها في صورة فنيّة راقية، لذلك يعتبر علما قائما بذاته، يستند إلى نظريّة لسانيّة أدبيّة متجانسة ومتماسكة الجوانب، أمّا عن مفهومه فقد تجاذبته مصطلحات كثيرة وتعلقت بدائرته أوصاف عديدة، ومن البديهي أن تتفاوت المصطلحات، غير أنّ كثرتها قد تلفت الأنظار، وهذا التّفاوت لم يرصد بالدّراسات العربيّة فحسب، بل كان منشؤه في الدّراسات الغربيّة أساسا.

فما هي كيفيات تمظهر مصطلح الانزياح وتجليه في التّراث البلاغي والنّقدي العربي القديم؟ وأين استقر به المقام في الدّراسات الأسلوبيّة العربية الحديثة؟

1-التّعريف اللّغوي للانزياح:

وجاء تعريف الانزياح في لسان العرب: "نَزَحَ الشَّيءُ يَنْزَحُ، نَزْحًا ونُزُوحًا: بَعُدَ؛ ونَزَحَتْ الدَّارُ، فَهيَ تَنْزَحُ نُزُوحًا إذَا بَعُدَتْ، وَبَلَدٌ نَزِيحٌ أَيْ بَعِيدٌ، وَنَزَحَتْ البِئْرُ نَزْحًا، إذَا اسْتُقِيَ مَا فيها وَنَفِدَ مَاؤُهَا، وبِئْرٌ نَزُوحٌ: قَلِيلَةُ المَاءِ، وَقَدْ نُزِحَ بِفُلَانٍ إذَا بَعُدَ عَنْ دِيَارِهِ غَيْبَةً بَعِيدَةً"[1].

وورد في مقاييس اللّغة:" الزَاءْ واليَاءْ والحَاءْ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ زَوَالُ الشَّيءِ وَتَنَحِّيهِ، يقال: زَاحَ الشَّيءُ يَزِيحُ، إذَا ذَهَبَ"[2].

أمّا بمعجم اللّغة العربيّة المعاصرة فجاء:" نَزَحَ يَنْزَحُ نَزْحًا وَنُزُوحًا، فَهُوَ نَازِحٌ، والمفعول مُنْزُوحٌ، وانْزَاحَ الشَّيءُ: زَاحَ؛ ذَهَبَ وَتَبَاعَدَ، نَزَحَ الشّخْصُ عَنْ أَرْضِهِ: بَعُدَ عَنْهَا، وانْزَاحَ عَنْ مَقْعَدِهِ: تَنَحَّى عَنْهُ وَتَبَاعَدَ"[3].

فمعنى الانزياح في اللّغة مرتبط بالذّهاب والتّباعد والتّنحي، أي تغيير الحالة وعدم التقيّد بها، وإن ارتبطت الدّلالة اللّغويّة الأولى بالمكان، فالأمر يتوسّع إلى دلالات أخرى، كأن نقول: زَاحَ عَنِّي الغَمُّ، وَزَاحَ عَنِّي الأَلَمُ، فالمعنى اللّغوي يدل على البُعْد، وهذا عينه ما ذهبت إليه التّعريفات اللّغويّة الحديثة لمصطلح الانزياح.

2-تمظهرات الانزياح في الموروث البلاغي والنّقدي العربي:

على الرغم من أنّ الانزياح مصطلح حديث ارتبط ارتباطا وثيقا بالأسلوبيّة الحديثة والشّعريّة، إلّا أنّ له جذورا بلاغيّة عميقة تعود إلى البلاغة اليونانيّة، فقد كان أرسطو يفرّق بين اللّغة العاديّة الشائعة المتعارف عليها بين النّاس، وبين اللّغة الغريبة غير المألوفة، ويؤكدّ في ذلك على أنّ اللّغة الثانيّة هي اللّغة الأدبيّة، لأنّها تعبير عن الحياة والحركة والتّجدّد، في حين تظل اللّغة العاديّة دالة على السكون والنّمطيّة[4].

أمّا في البلاغة العربيّة القديمة فقد لقي الانزياح اهتماما بالغا من قبل علمائها الأوائل، الذين أدركوا بذوقهم الخالص وفطرتهم السّليمة أنّ اللّغة الشّعريّة تختلف عن اللّغة العادية المتداولة، فهي لغة خاصة لها مفعول السّحر على المتلقي لأنّها تهزّ جوارحه، وتفاجئ مداركه بخروجها عن الرتابة اللّغوية التي اعتادها.

ورغم أنّ البلاغيين لم يعرفوا الانزياح بمصطلحه، إلّا أنّهم بحثوا في معناه الذي هو الخروج عن المألوف من القواعد اللّغويّة. وكان للانزياح تسميات عديدة شكّلت مباحث علم البلاغة، كالاستعارة، والمجاز، والتقديم والتّأخير، والحذف والذكر، إلى غير ذلك من مباحث هذا العلم الجليل. وقد تردّدت مصطلحات عديدة بالموروث البلاغي والنّقدي لهذه الظاهرة، منها العدول، والاتّساع، والشّجاعة، والغرابة، والمخالفة، والضرورة، والتّخييل، والكذب، والتّجوز، وإعمال الحيلة، ومنافرة العادة، وغيرها، وتردّد هذه المصطلحات إن دلّ فإنّما يدّل على وعي القدماء بتلك التّجاوزات التعبيريّة للأنماط اللّغوية المتواضع عليها، والتي يحدثها الشّعراء بأشعارهم، " وليس يعدم من يروم التّنقيب عن بذور لفكرة الانزياح عند العرب، أن يلتقط غير قليل من تلك البذور، يلتقطها في فترة لم تكن بوادر الفكر النّقدي قد بانت بعد، ولعلّ أهم ما يمكن أن يذكر في هذا الشّأن أنّ العرب منذ جاهليتهم قد أدركوا بذوق فطري أنّ للشّعر لغة خاصة تختلف عن لغة الحديث، لغة أشبه أن تكون من عالم آخر، حتّى خيّل إليهم أنّ للشّاعر رئيّا من الجّن"[5].

ومن الإرهاصات الأولى لهذا المفهوم في التّراث العربي ما ذهب إليه:

2-1- سيبويه (ت:180هـ)

عدّ سيبويه "الانزياح نوعا من الاتّساع والمجاز في الكلام، وذلك لعدم تجسيده للدّلالات بهيئتها الحقيقيّة، فالانزياح يبتعد بالمعنى عبر تركيب خاص إلى معنى سام ينزاح عن الدّليل النّظمي المعياري"[6]. ويقرّ سيبويه بضرورة الانزياح اللّغوي كأساس لحدوث الانزياح الدّلالي، من خلال اهتمامه بعرض وتحليل تلك التّجاوزات التّركيبية التي تمس القوالب اللّغوية الجاهزة، من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وتأنيث وتذكير...، والتي تحمل في طيّاتها أبعادا بلاغية إبداعيّة تلامس النّصوص الأدبيّة عموما والنّصوص الشّعريّة على وجه الخصوص، باعتبارها الميدان الخصب لهذه الظاهرة، وذلك لرقيّها وعلو منزلتها بين سائر ضروب الكلام.

وقد افتتح سيبويه مؤلّفه "الكتاب" بباب عنوانه "باب اللّفظ للمعاني" تناول فيه الحديث عن الانزياح اللّغوي الذي يعتبر أساسا للانزياح الدّلالي، فيقول: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد، واتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين، هو نحو: "جلس" و"ذهب"، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد، نحو: "ذهب"، و"انطلق"، واتفاق اللّفظين والمعنى مختلف قولك: "وجدت عليه" من الوجدة و"وجدت" إذا أردت وجدان الضّالة، وأشباه هذا كثير"[7]، وحري بالذكر في هذا المقام أنّ سيبويه

قد أدرك يقينا العمليّة الانزياحيّة بكلّ تفرّعاتها وتشعّباتها، وهذا دليل قاطع على سبق اللّغويين القدامى بقرون لما انتهت إليه الدّراسات اللّسانيّة الحديثة في معالجتها لقضاياها.

2-2-الجاحظ (ت:255هـ)

أمّا الجاحظ رائد البيان العربي بدون منازع، والذي اهتم اهتماما خاصا بثنائيّة اللّفظ والمعنى في المنتج الأدبي عموما، والشّعري على وجه الخصوص، وجاءت إشارته لقضيّة الانزياح حينما اعتبر المعاني مادة أوليّة خاما في صناعة الكلام، وعدّها ملكا للنّاس كافة عامتهم وخاصّتهم، حيث قال: "المعاني القائمة في صدور النّاس، المتصوّرة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، وإنّما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقر بها من الفهم، وتجليها للعقل"[8]، فلا قيمة لمثل هذه المعاني حسب الجاحظ وهي مألوفة متداولة من الجميع، لأنّ الغرض من استخدامها هو إبلاغ الحاجة، إنّما تُمنح للمعاني الحياة إذا ما نظمت شعرا، وأدت وظيفتها التّصويريّة بلغة منتقاة تمتلك كلّ المقومات التّعبيرية، لغة طيّعة في حمل المعاني الرّاقية وتجويدها والإيحاء بها، لغة تنتج بخروجها عن المألوف نصوصا أدبيّة ذات قيمة فنيّة جمالية، لتحقّق بها غرض الإمتاع والمؤانسة.

فالجاحظ بذلك حدّد مستويين من التّعبير الدّلالي المفضي للفهم، أحدهما استعمال عادي مألوف يخلو من كلّ سمة أسلوبيّة نوعيّة، يستعمل من قبل فئة من المجتمع يسميها العامة حينا والنّاس حينا آخر، وظيفته مجرد إفهام الحاجة والرغبة دون تفنّن في الأداء، أمّا الثاني: هو استعمال اللّغة الموسوم بسمة فنيّة خاصة، وهو المستوى الذي يبرز تحويل الظاهرة اللّغويّة من مجرد الإبانة إلى مجرى البيان الفصيح"[9].

هذا المفهوم الذي جاء به الجاحظ هو الانزياح الدّلالي الذي لا يقدر الشّاعر على تحقيقه إلّا إذا استند إلى المجاز. وتنبّه الجاحظ ببصيرته النفّاذة وقريحته الوقّادة إلى أهميّة المجاز في "توسيع دلالات الألفاظ، لأنّه الحالة التي يمكن فيها إيراد المعنى بروافد بيانيّة متباينة، ويقول الجاحظ في المجاز: هو فخر العرب في لغتهم، وبأشباهه اتّسعت. ويقصد الجاحظ بالأشباه الصور البيانيّة الأخرى، من تشبيه، واستعارة، وكناية، والتي تعدّ كلّها انزياحات دلاليّة تسهم في اتّساع الدّلالة، وكثافة المعاني"[10].

ومن الملاحظ أنّ الجاحظ كذلك لامس مفهوم الانزياح في معالجته لثنائية اللّفظ والمعنى، وكان اهتمامه بالانزياح اللّغوي أكثر من اهتمامه بالانزياح الدّلالي، وذلك سببه ولا ريب اهتمامه البالغ باللّفظ وانحيازه له على حساب المعنى.

2-3-ابن جني (ت:392هـ)

وقد رأى العرب في القديم-عن وعي منهم-أنّ الخروج عن الاستعمال العادي للّغة، يحتاج إلى إقدام وشجاعة، فجاءت تسمية البلاغيين والنّقاد العرب لهذا الخروج بشّجاعة العربيّة"، وشجاعة العربيّة سمّاها ابن جني "الالتفات"، حيث اعتبر تأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتقدّم المفعول على الفعل، وتقدم المظروف على الظرف، وتقدم الخبر على المبتدأ...إلخ، فنّا من فنون القول سمّي "شجاعة العربيّة"، لأنّ الشّجاعة هي الإقدام، وذلك أنّ الرجل الشّجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورّد ما لا يتورّده، وكذلك هذا الالتفات في الكلام[11]. ويقول ابن جني في هذا السّياق:" ومن المجاز كثير من باب الشّجاعة في العربيّة، من الحذف والزيادات، والتّقديم والتّأخير، والحمل على المعنى، والتّحريف"[12]، ويدلّل هذا على تطويع اللّغة إلى الحاجة الإنسانيّة في التّعبير وتوسيع

إمكانياتها لتخدم غرض المبدع"[13]، وذلك بالانزياح عن الأسلوب العادي وخلق معان جديدة تمنح صاحبها فضل السّبق والتّفوّق.

وقد تفطّن ابن جني إلى المعاني التي يُسلك من أجلها مسلك الانزياح بقوله:" وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتّساع والتّوكيد والتّشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة"[14]. ويكون بذلك قد أجاز العدول عن الحقيقة في الكلام لتحقيق أغراض كالاتّساع، والتّوكيد، والتّشبيه. فمن الملاحظ أنّ مفهوم الانزياح مذكور ضمنيا في قول ابن جني، قاربه بالعدول والاتّساع والمجاز.

2-4-عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ)

أمّا شيخ البلاغة وزعيم البيان عبد القاهر الجرجاني، فقد نادى بالمساواة بين اللّفظ والمعنى، غير أنّه عدّ الألفاظ خدما للمعاني، تتغيّر دلالاتها بتغيّرها، وهذا جوهر ظاهرة الانزياح بمفهومها الحديث، لذلك سنقف قليلا مع آراء الشّيخ إيمانا منّا بقدراته البلاغيةّ والنّقديّة التي لامست إلى حدّ بعيد ما انتهت إليه الدّراسات النّقديّة التّطبيقيّة اليوم.

فعبد القاهر لا يقيم وزنا للكلمة منفردة خارج السّياق، ولم يقف للبحث عن جمال الكلمة في ذاتها، دون النّظر إلى علاقتها مع جاراتها، لأنّه صرف جلّ همته للبحث عن الجمال الكلّي المقدّم في صورة النّظم، ولم ير للكلمة جمالا إلا في خلوها من الغرابة والوحشية بقوله: "هل يقع في وهم-وإن جهد-أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنّظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك وحشيّة؛ أو أن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد؟"[15].

فهو يتجاوز حدود اللّفظة المفردة، بل لا يكاد يعطيها أهمية إلا إذا كانت داخل نظم وتأليف: "ذلك أنّ اللّفظة لا تتميز بحسن ذاتي، وإنّما يتحقق لها ذلك من خلال التركيب، ومن هنا يرفض الجرجاني أن يكون النّظم نظم ألفاظ؛ لأنّه ليس للّفظ من حيث هو لفظ مزية، وإنّما تكون المزيّة حين تأتي معاني النّحو، وأحكامه فيما بين الكلم"[16].

يرى عبد القاهر أنّ الألفاظ أوعية للمعاني[17]، والوعاء هنا غير مقصود في ذاته، بل يعتبر أداة جاهزة تؤدي خدمة كما يراها الجرجاني"[18]، ومن هنا نفهم أنّ للألفاظ دورا وظيفيا يكمن في خدمة المعاني، وبيّن هذه الآلية في قوله: "لا جهة لاستعمال هذه الخصال: غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللّفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه وأتمّ له"[19]، فانطلاقا من احتمال وجود أكثر من بنية لفظية تعبّر عن المعنى، وجب هنا اختيار اللّفظ الأخص بالمعنى، والأكشف عنه والأتمّ له.

فعبد القاهر أكّد على ضرورة ربط اللّفظ بالمعنى واعتبر العلاقة بينهما علاقة تلاحم وتلازم، فلا مجال للفصل بين الدال والمدلول، ولكنّه مع إقراره هذه العلاقة رأّس المعنى على اللّفظ، إلى حدّ قوله: "إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النّفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[20]. ويزيد رأيه تأكيدا بأنّ "الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقّة طاعتها، فمن نصر اللّفظ على المعنى كان أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته وذلك مظنّة من الاستكراه، وفيه فتح أبواب العين والتّعرض للشين"[21]. فليست الألفاظ مكمن المزيّة، وهي مطواعة للمعاني، خادمة لها، تابعة إليها، ولهذا لم يكن "لمن حام في حديث المزيّة، والإعجاز حول اللّفظ ورام أن يجعله السبب في حقائق اللّغة، وهي بيان الهدف من وضع الألفاظ فيها، ونفى أن يكون هذا الهدف مقصورا على

كونها وسيلة لمعرفة مدلولاتها ومعانيها، لأنّ هذه المدلولات والمعاني موجودة قبلها"[22] ، ولو كان الهدف هو هذه المعرفة فقط، لتوقفت معرفتنا بهذه المدلولات والمعاني على معرفة أسمائها، والواقع أننا غالبا ما نعلم المسميات قبل معرفة أسمائها، وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر واعتبر وضع الألفاظ وإطلاقها على مسمياتها لا يكون "إلاّ على معلوم، فمحال أن يوضع اسم، أو غير اسم لغير معلوم، ولأنّ المواضعة كالإشارة، فكما أنك إذا قلت خُذْ ذاك، لم تكن هذه الإشارة لتعرّف السامع المشار إليه في نفسه- ولكن ليعلم أنّه المقصود من بين سائر الأشياء التي نراها ونبصرها، كذلك حكم اللّفظ مع ما وضع له. ومن هذا الذي يشك أنّا لم نعرف الرجل والفرس والضرب والقتل إلا من أساميها؟ ولكن لذلك مساغ من العقل، لكن ينبغي إذا قيل (زيد)، أن تعرف المسمّى بهذا الاسم من غير أن تكون قد شاهدته، أو ذكر لك صفة"[23].

وبالتالي ليس الهدف من وضع الألفاظ معرفة مدلولاتها ومعانيها، وإنّما يكمن ذاك الهدف في ضم بعضها إلى بعض، حتّى تؤدي معنى معين، وتحقق فائدة معلومة، تبرزها طريقة التأليف "التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا، واستخبارا وتعجُّبا، وتؤدي في هذه الفضيلة إلاّ التسكع في الحيرة والخروج عن فاسد من القول إلى مثله"[24] ، ولعل هذه المواطن من ترئيس عبد القاهر المعنى على اللّفظ توهّم بعض الدارسين أنّه كان من أنصار المعنى، وهذا ما لم يكن، إذ لو كان الأمر كذلك لما رأيناه في مواضع أخرى من دلائله يدافع عن اللّفظ وكأنّه من دعاته. وقد يكون إعلاؤه من قيمة المعنى جاء من قبيل ردّه على المغالين في الانتصار للّفظ.

فقد أنكر عبد القاهر أن تكون المزيّة لأحدهما دون الآخر، و"ناقش أنصار اللّفظ وأنصار المعنى جميعا، ليخلص أنّ مجال المفاضلة هو صورة المعنى التي تتولد عن النّظم ليس غير"[25] ، وهي الفكرة التي تبينها المتابعة الواعية لآرائه في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز".

ويتأكد لنا من كلّ ما تقدّم ذكـره من آراء "أنّ عـبد القاهـر يقصد بذلك ما تتيحــه إمكانات النّحـو من أوجه متعددة للتعبير؛ فالنّحو عنده نحو بلاغة، فلا بد في نظره من ضرورة الجمع بين البلاغة والنّحو والدلالة"[26] في العمل الأدبي حتّى يربو إلى أعلى مرتبة وينال أرقى منزلة، فإن تمّ له ذلك استحقّ شرف المزيّة والفضيلة.

فالجرجاني يعدّ من أبرز النّقاد الذين لامسوا بقوّة مفهوم الانزياح بمعناه الحديث من خلال العناية الخاصة التي أولاها للعدول حين اعتبره قيمة مضافة للشّعر، حيث يقول: "اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزيّة والحسن فيه إلى اللّفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النّظم. فالقسم الأول: الكناية والاستعارة، والتّمثيل الكائن على حدّ الاستعارة، وكلّ ما كان فيه على الجملة، مجاز واتساع وعدول، باللّفظ عن الظاهر"[27].

ولعلّه من أتمّ التعّريفات للانزياح الدّلالي، ما سمّاه بـ"معنى المعنى" وبسط الحديث فيه في قوله:" الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج عن الحقيقة، فقلت: خرج زيد بالانطلاق عن عمرو، فقلت: عمرو منطلق، وعلى هذا القياس؛ وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدلّك اللّفظ على معناه الذي يقتضي موضوعه في اللّغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل إلى الغرض...وإذ قد عرفت هذه الجملة، فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى، ونعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللّفظ، ... وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللّفظ معنى ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[28] ، فالجرجاني بذلك وعى مفهوم الانزياح اللّغوي والدّلالي، وأولى اهتماما بالغا للانزياح الدّلالي الذي عرف في فكره بمعنى المعنى، لأنّه يحقّق للمخرج الأدبي والشّعري بعدا فنيّا وجماليّا.

2-5-ابن رشد (ت: 595 هـ)

أمّا الفلاسفة المسلمون فقد تداولوا مصطلح التّغيير، خصوصا من اهتمّ منهم بشرح فكر أرسطو من العرب كابن سينا(ت: 428هـ)، وابن رشد، والتّغيير هو خروج الكلام عن المألوف والمعتاد، ويعتبر ابن سينا أنّ "التّغيير هو ألّا يستعمل (القول) كما يوجبه المعنى فقط، بل أن يستعير ويبدّل ويشبه، وهو يرى أنّ التّغييرات أربعة: تشبيه واستعارة من الضّد، واستعارة من التّشبيه"[29] ، فالتغيير حسب ابن سينا الابتكار بالخروج عن العادة.

أمّا ابن رشد فقد توسّع لديه مفهوم التّغيير، فصرّح بالأساس الذي يحكمه وهو الخروج عن العادة في قوله:"والتّغييرات تكون بالموازنة، والموافقة، والإبدال، والتّشبيه، وبالجملة بإخراج القول على غير مخرج العادة، مثل: القلب والحذف، والزيادة والنقسان، والتقديم والتأخير، وتغيير القول من الإيجاب إلى السلب، ومن السلب إلى الإيجاب، وبالجملة من المقابل إلى المقابل، وبالجملة بجميع الأنواع، سمي عندنا مجازا"[30] ، وكلّ هذا مؤداه انزياحات دلاليّة خارجة عن العادة، تتجاوز الحدود الدّلاليّة لتمسّ كل مكونات الشّعر الدّلاليّة والتركيبيّة والصوتيّة والإيقاعيّة.

هذه بعض الإشارات والتلميحات من جهابذة التّراث العربي لظاهرة الانزياح، وإن كانت بمسمّيات مختلفة، إلّا أنّها ظلت تحاكي مفهوم الانزياح وتسبح في فلكه، لأنّها تتقاطع فيما بينها في معنى مشترك وهو الخروج عن المألوف ومخالفة العادة. هذا ما يوحي ببروز بذور ذات جذور عربية جاهزة للاستقامة والاستواء إذا ما احتوتها جهود مستغلة لهذه الظاهرة الأسلوبية في تفجير الطاقات اللّغوية الكامنة القائمة على التّصوير الفنّي من مجاز وتشبيه، واستعارة وكناية.

3-الانزياح في النّقد العربي الحديث

تعتبر دراستنا لتراثنا العربي بمثابة امتداد للأصالة ووفاء للذّات. ومن هذا المنطلق تأسس الاتجاه النّقدي العربي. والذي كانت له جهود محمودة عادت بالنّفع على النّقد خاصة والأدب عامة، وتعدّ ظاهرة الانزياح من المواضيع التي حازت على نصيب وافر من الدّراسات النّقدية العربيّة الحديثة.

والبحث في ظاهرة الانزياح ومفهومها في الدّراسات العربيّة الحديثة يؤكّد عملية التّواصل بين القديم والحديث، من حيث كانت مباحثه قائمة في جوهرها على ما أصّله القدامى من دراسات بلاغيّة ونقديّة، مع الإفادة في الوقت نفسه من التيّارات الخصبة التي وفدت من الغرب مع مطلع نهضتنا الحديثة.

وكان الحديث عن الأسلوبية الحديثة هو الوسيلة الصّحيحة لعقد المقارنة بينها وبين موروثنا البلاغي، من خلال تحديد مفهوم الانزياح بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، بحيث لا يكون هناك تعصُّب لقديم أو انغلاق أمام جديد.

أمّا عن مصطلح الانزياح فيبدو أنّه قد ذاع وانتشر تداوله في ساحة النّقد العربي الحديث نتيجة اطلاع الباحثين العرب على الدّراسات اللّغويّة والنّقديّة الغربيّة الحديثة، خاصة مع نشاط حركة التّرجمة. وإذا كان البلاغيون العرب والنّقاد الغربيون قد خصّوا مفهوم الانزياح بتسميات متعدّدة تدور كلّها حول معنى الخروج عن المألوف، فإنّ الدّارسين العرب اشتغلوا ببيان حدود هذه التّسميات التي تصف الظاهرة، فهناك من سمّاها "الانحراف"، وآخرون آثروا تسمية "العدول"، في حين فضّل عدد غير قليل من الدّارسين مصطلح "الانزياح"، ورأوا أنّه الأنسب لبعده عن الإيحاء الأخلاقي، وكذا مجاراته روح العصر، وقدرته على احتواء الظاهرة بكل تجلياتها. فانتشر

بذلك مصطلح الانزياح بصورة أوسع بين الدّارسين مقارنة بالمصطلحات الأخرى التي تقارب مفهومه.

وإقبال الدّارسين العرب في مجال الأسلوبيّة اللّغويّة واللّسانيّات الحديثة على الاشتغال بظاهرة الانزياح تنظيرا وتطبيقا، إنّما لما لهذه النّظريّة الحديثة من أهميّة تكمن في تشكيل وبناء جماليات النّصوص الأدبيّة عموما والشّعريّة على وجه الخصوص. وسنورد في هذه الورقة –في إيجاز-بعض المحاولات الهّامة والتي تناولت مفهوم الانزياح بمزيد من العناية التّفصيل.

3-1-الانزياح في فكر عبد السّلام المسدّي

من المحاولات الجادة التي تناوت مفهوم الانزياح بالدّراسة، ما جاء به عبد السّلام المسدّي في كتابه "الأسلوبيّة والأسلوب"، حيث كان للمسدّي الفضل الكبير في التّعريف بهذا المصطلح وتداوله ببيئة النّقد العربي المعاصر، ويقول أحمد ويس في ذلك:" والحقّ أنّ كلمة **(écart)** هي مصطلح أسلوبي قد تجاذبتها في العربيّة عدّة ترجمات، لم يكن حظّها من الصّحة والشّيوع واحدا، ولعلّها قد ظهرت في تقديم المسدّي لكتاب ريفاتير "محاولات في الأسلوبيّة الهيكليّة"، وكان قد ترجمها آنئذ بالتّجاوز، ولكن المسدّي بعد ذلك يستبدل بالتّجاوز الانزياح الذي استعمله في كتابه "الأسلوبيّة والأسلوب"، كما سبق القول، ثمّ في أطروحته للدكتوراه:" التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة"، وقد بدا لي أنّه أول من استعمل الانزياح ترجمة لـ**(écart)** "[31].

كما أنّ المسدّي أصّل لمصطلح الانزياح في التّراث العربي حين ربطه بمفهوم العدول في قوله:" وعبارة انزياح ترجمة حرفيّة للفظة **(écart)** على أنّ المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التّجاوز، أو أن نحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدّد، وهي عبارة(العدول)، وعن طريق التّوليد المعنوي قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبيّة"[32].

وذهب المسدّي إلى "أنّ جلّ التّيارات التي تعتمد الخطاب أسّا تعريفيّا للأسلوب تكاد تنصبّ في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينهما، ويتمثل في مفهوم الانزياح **"l'écart"**، ولكن استقام له أن يكون عنصرا قارا في التّفكير الأسلوبي، فلأنّه يستمدّ دلالته- لا مع الخطاب الأصغر كالنّص والرّسالة- وإنّما يستمدّ تصوّره من علاقة هذا الخطاب الأكبر، وهو اللّغة التي فيها يسبك، ولذلك تعذّر تصوّره في ذاته، إذ هو من المدلولات الثّنائيّة المقتضية لنقائضها بالضرورة، فكما لا نتصوّر(الكبير) إلّا في طباق مع (الصّغير)، فكذلك لا نتصوّر انزياحا إلّا عن شيء ما، وهذا المسار الأصلي الذي يقع عن الخروج، وإليه ينسب الانزياح، هو في ذاته متصوّر نسبي تذبذب الفكر اللّساني في تحديده وبلورة مصطلحه. فكلّ يسميه من ركن منظور خاص، وقد اصطلحنا عليه فيما مضى من بحثنا بالاستعمال النّفعي للظاهرة اللّسانيّة، مختارين في ذلك تسمية الشّيء بوظيفة العمليّة، وغائيّته الواعية"[33].

فالمسدّي لا يرى تصوّرا للانزياح في ذاته إنّما ينطلق في شرحه للظاهرة الانزياحيّة من الفكر الأسلوبي، حيث لا يراها تستمدّ دلالتها من النّص أو الرّسالة، إنّما تستمدّها من تلك العلاقة القائمة بين الخطاب واللّغة، ففيها يتبيّن الانحراف بالنّظر في التّمايز الحاصل بين المعنى الأصلي (المنزاح عنه)، والمعنى الجديد(المنزاح)، فالانزياح بذلك من المدلولات الثنائيّة التي تقتضي ضرورة مرافقة نقائضها.

وتجاوز صاحب كتاب "الأسلوبيّة والأسلوب" التفكير الأسلوبي المحدود عندما صرّح بتلك القواعد التّأسيسية التي رأى فيها اتساعا لا يحتويه إلّا الفكر اللّساني، وذلك حين "نبسط فرضية عمل نعتبر بها أنّ الظاهرة اللّغوية وجهة لاتجاهين وتقاطع محورين: أولهما الجدل" النّفعي"، ويشمل وضع اللّغة الأول، وهو الأصل بالذات، والزمن الثاني، هذين المحورين هو الجدول

المخدوم، ومحوره وضع اللّغة الطارئ، فكلا المظهران واقع لغوي، إلّا أنّ أولها متنازل ويمثّل "قضيّة" الموجود اللّغوي، كتجسيد لخصوصيّة الإنسان، والثاني متعال، وهو "نقيضه" ذلك الموجود"[34]. أمّا عن معيار ضبط عملية الانزياح فاعتبره المسدّي متصوّر نسبيّ في ذاته، وقد تذبذب الفكر الألسني في تحديده وبلورة مصطلحه، فكلّ يسمّيه من ركن منظور خاص، وقد اصطلح عليه فيما مضى من بحثه بالاستعمال النّفعي للظاهرة الألسنيّة، مختارا في ذلك تسمية الشّيء بوظيفته وغائيّته الواعيّة"[35]. وبسط المسدّي الحديث عن الانزياح وصولا إلى إبراز قيمة هذا المفهوم في قوله: "ولعل قيمة مفهوم الانزياح في نظرية تحديد الأسلوب اعتمادا على مادة الخطاب تكمن في أنه يرمز إلى صراع قار بين اللّغة والإنسان، هو أبدا عاجز عن أن يلم بكل طرائقها ومجموع نواميسها، وكلية إشكالها كمعطى موضوعي ما ورائي في نفس الوقت، بل إنه عاجز عن أن يحفظ اللّغة شموليا، وهي كذلك عاجزة عن أن تستجيب لكل حاجته في نقل ما يريد نقله وإبراز كل كوامنه من القوة إلى الفعل"[36]، وفي ختام معالجة المسدّي لقضيّة الانزياح عدّه احتيالا على طرفين، على اللّغة، وعلى والإنسان نفسه، وقد برّر لهذا الاحتيال بسدّ العجز والقصور الذي يصيبها ويلقي بها في غياهب المعياريّة والنّمطيّة المقيتة، فيبعث الحياة بأوصالها من جديد ويخرجها إلى أنوار الإبداع والابتكار وتلخّص هذا في قوله: "وما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللّغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معا"[37].

تناول عبد السّلام المسدّي ظاهرة الانزياح من منظور أسلوبي لساني نظرا لاطلاعه العميق على ما ألّف في هذا الموضوع من كتب أجنبيّة، واصطلح عليه "الاستعمال النّفعي"، كما يظهر إلمامه الواسع بإسهامات العرب في هذا الموضوع، ودليل ذلك اختياره للمصطلح التّراثي "العدول" -دون كلّ المصطلحات التي وضعت لهذا المفهوم- كمصطلح مناسب بل مطابق لمصطلح الانزياح.

3-2-مفهوم الانزياح عند أحمد محمد ويس

أمّا محاولة أحمد محمد ويس فلم تكن أقل أهمية عن سابقتها عند المسدّي، والتي جمعها كتابه الموسوم بـ "الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة"، حيث استهلّه بتعريف الظاهرة في قوله:" الانزياح، استعمال المبدع للّغة، مفردات وتراكيب وصورا، استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف، بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرد وإبداع، وقوة وجذب وأسر. وبهذا يكون الانزياح هو فيصل ما بين الكلام الفني وغير الفني"[38]. فالانزياح حسب ويس يختصر في تلك العملية الإبداعية التي تخرج النّص من التّعبير العادي إلى التّعبير الفني الجميل.

ويربط أحمد ويس بين الانزياح والشعريّة برباط وثيق حتى يعدّه القلب النابض فيها فهو حين " يتغلغل في مسارب الأدبيّة عامّة والشّعريّة على نحو خاص تغلغلا يصحّ معه القول إنّه يقع منهما موقع القلب من الجسد؛ فإذا كان القلب هو ما يمدّ الجسم بالدم والغذاء، فإنّ الانزياح هو وحده الذي يمنح الشّعريّة موضوعها الحقيقي"[39]. وهو لا يرى في هذا الوصف مبالغة، إنّما يعده إنصافا للانزياح وللأثر الذي يتركه في الأدبيّة عموما، والشّعريّة على وجه الخصوص.

ومن أهم ما ورد في دراسة أحمد محمد ويس لظاهرة الانزياح تعداده لجملة من المصطلحات التي عبّرت عن المفهوم أو دارت حوله، وقد استغرقت مصطلحات الانحراف والعدول والانزياح أغلب حديثه؛ لأنّها -حسب رأيه- هي أقوى المصطلحات وأكثرها استعمالا وتداولا، وقد فاضل بينها، وترجح لديه مصطلح واحد هو "الانزياح" في قوله: "وإذا كنا رأينا كلّ واحد من لفظي "الانحراف" و"العدول" يرد في كتب بلاغيّة ونقديّة في معان كثيرة ليست بنقديّة ولا أسلوبيّة، فإنّ

"الانزياح" يمتاز من ذلك بأنّ دلالته-إذ يرد في كتب الأسلوبيّة-منحصرا تقريبا في معنى فني. وهذا يعني أنّه مصطلح لا يحمل لبسا من أيّ نوع كان. ومن المهم أن تطلق اسما جيّدا على أحد المفاهيم؛ لأنّ ذلك يعني أنّ اهتمام النّاس سوف يتركّز عليه، وإنّ مصطلح الانزياح هو وحده يمتاز بهذه الميزة"[40]، وهذا لا يعني رفضه للمصطلحين الآخرين.

كما تحدّث عن مصطلحات أخرى ذات صلة بمفهوم الانزياح، وأشار إلى أنّ مشكل تعدّد المصطلح واختلافه ليست عربيّة في الأصل، بل هي غربيّة المنشأ، وقد لاح له أنّ كثرة المصطلحات –وقد تجاوزت الأربعين مصطلحا-ربما كانت في وجه من وجوهها تعبيرا عن ترسّخ المفهوم وخطره مثلما هي تعبير عن نسبيته وعدم انضباطه"[41].

وعندما شرع أحمد محمد ويس في محاولة تأريخ النّظر إلى الأسلوب بما هو انزياح عند الغربيين، استقام له من خلال هذا التّأصيل أنّ الانزياح ليس من ابتداع الأسلوبيّات الحديثة ابتداء، بل هو ضارب في أعماق الفكر النّقدي حين يقول: "لئن كان مصطلح الانزياح، من حيث هو مصطلح أسلوبي، حديث النّشأة ومن ابتداع الزّمن المتأخّر، فإنّ شيئا من مفهوم هذا الانزياح قديم يرتدّ في أصوله إلى أرسطو، وإلى ما تلا أرسطو من بلاغة ونقد"[42].

كما تناول أحمد محمد ويس في كتابه أنواع الانزياح، وذكر نوعين اثنين، الانزياح الاستبدالي، والذي استأثرت فيه الاستعارة بمعظم اهتمامه، باعتبارها أهم الانزياحات على الإطلاق، لما حظيت به من اهتمام في الفكر النّقدي عبر العصور مع تفاوت في الرؤية والعمق والتحليل، أما الانزياح التّركيبي القائم على تعالق الكلمات، فقد آثر الحديث فيه عن ثنائيّة التّقديم والتّأخير، باعتباره أجلى مباحث هذا النّوع، ثمّ وقف مطولا عند معيار الانزياح"[43].

ولعلّه من أهم ما ورد في هذه الدّراسة-كذلك-حديث صاحبها عن الوظيفة الرئيسيّة للانزياح، والتي تختصّ بالمتلقي أساسا، ما اقتضى حديثه عن مبلغ اهتمام النّقد به في النّصف الثاني من هذا القرن، ويقول في هذا الشّأن: "إنّ الوظيفة الرئيسة التي أكثرت الدّراسات الأسلوبيّة من نسبتها إلى الانزياح، إنّما هي "المفاجأة". ومفهوم المفاجأة مرتبط أصلا بالمتلقي، وهو الذي أولته الأسلوبيّة وغيرها من المدارس النّقديّة عناية خاصة، بل أدخلته ضمن دائرة الإبداع، بعد أن لم يكن له في العصور السّابقة كبير اعتبار، والحق أنّ الاهتمام بالقارئ المتلقي ليس بدعا من الأمر؛ لأنّ القارئ هو من يوجّه إليه النّص؛ وهو من ثمّ الذي يحكم على قيمته بعامة؛ لا بل إنّه شريك المؤلّف في تشكيل المعنى، ومن ثم فلا غرو أن وجدنا المناهج النّقديّة الحديثة على اختلاف اتجاهاتها تعنى بطريقة استقبال القارئ للنّص"[44]، فعنصر المفاجأة ارتبط بالمتلقي أيّما ارتباط، ولأنّ الانزياح هو ما يحدثها، وهي بذلك وظيفته الرئيسيّة، أصبحت درجة الإبداع تقاس بمدى ما لهذا الإبداع من أثر تعكسه تلك المفاجأة والدهشة المتولدة عن ضم عناصر ليس من المألوف اجتماعها على صعيد واحد. وحين أدركت مختلف الاتجاهات النّقديّة ما للمفاجأة من أثر في نفس المتلقي، راحت تركز عنايتها على تلك العناصر التي تسبّب اهتزازا بروح المتلقي، وتحدث انتشاء بذوقه.

3-3-الانزياح في رأي نعيم اليافي

يعدّ اليافي من المنظرين العرب الذين اطلعوا على الدّراسات الغربية اطلاعا واسعا، وأفادوا من مفاهيمها الأسلوبية إفادة جمّة، ونراه قد حصر مفهوم الانزياح في دائرة الأسلوبيّة متأثّرا في ذلك برأي عبد السّلام المسدي، حيث نجده يحصي مرادفات الانزياح ويعدّدها"[45].

كما يصف الانزياح بأنّه" بكلّ بساطة خروج التّعبير عن السّائد أو المتعارف عليه قياسا في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيبا"[46]، ويقصد بذلك تسخير المبدع لكل إمكانات اللّغة من

مفردات وتراكيب وصور في عملية الخروج من نسق لغوي مألوف إلى نسق فني وجمالي جديد ومتفرد.

واليافي من النّقاد الذين آثروا استعمال مصطلح الانزياح على غيره من المصطلحات المقاربة له في الدّلالة، وذلك لبعده عن أي لبس دلالي، "ليس لأنّه الأشيع والأكثر دورانا على الألسنة، وإنّما لأنّه بخلاف سواه، يحمل دلالة توصيفيّة لا تمت إلى القيمة-ولاسيما الأخلاقيّة منها- بصلة"[47].

واليافي على خلاف المسدّي استبعد مصطلح "العدول"، واستعمل مصطلح "الانزياح" كبديل له مبرّرا ذلك ببعده الفنّي واتّساع دلالته في قوله:" ومن المعروف أنّ النّقد العربي القديم استعمل مصطلح العدول للتّعبير عن المعنى وقد رغبنا عنه؛ لأنّه لا يحمل ما يحمله الانزياح من فضاء دلالي أبعد وأوسع، إلّا إذا ضمّناه دلالته وحمّلناه ما يحتمل، وأعدنا إليه الحياة من جديد"[48].

ومن أهم النّقاط المثيرة للجدل في دراسة اليافي حول الانزياح، هو ما عابه على الدّارسين ممّن حصروا الانزياح في الصور البيانيّة بالسّياقات البلاغيّة، وصبّوا كلّ جهدهم في ذلك على دراسة المجاز بأنواعه، خاصة الاستعارة، غير أنّ اليافي أضاف إلى الدّرس الانزياحي التّشبيه"[49]،كضرب من الضروب التي يتمظهر بها، وكحدث إبداعي جمالي، وهذا نوع كرهه جلّ دارسي الانزياح وأهملوه.

ويرى اليافي أن لا قيمة للانزياح إلّا بفاعليّة القراءة، وفاعلية القراءة لا تتحقّق دون إمعان نظر، وسلامة ذوق، وحسن تحليل وتأويل، يقول في ذلك:" باللّغة نؤوّل لغة النّص، وفي لقاء النّص والتّلقي يكمن جوهر الإبداع الأصيل"[50].

وقبل أن نختم الحديث عن بعض ما أنجزه هؤلاء الدّارسين في مجال التنقيب عن مفهوم الانزياح كقيمة أسلوبية في التّراث البلاغي والنّقدي، نودُّ أن نشير إلى أنّ ثمّة أبحاثا وكتبا لا تكاد تُعدُّ ولا تحصى في هذا المجال، وإنّما كان ذكرنا للمحاولات السّابقة كنماذج في إثبات أثر الفكر العربي في إثراء الدّرس النّقدي العربي الحديث، وتعدّ المحاولات التي ذكرنا من المراجع الأساسية في المكتبة العربيّة في هذا المجال، من حيث القدرة على استخراج العناصر الأسلوبيّة من كتب التّراث العربي، ومهارة مزجها بعميق فهمهم للفكر الغربي، مع دقة الطرح وإحكام السبك. فكان هذا الاختيار على سبيل الذكر لا الحصر.

الخاتمة

لقيت ظاهرة الانزياح عناية خاصة واهتماما بالغا في الدّراسات النّقدية والبلاغيّة الحديثة، وذلك لما لها من بعد جمالي فنّي يلامس ذوق المتلقي متعة ولذّة وأنسا، وتظهر أهمّيتها حين يستخدم المبدع تلك الآليات الفنيّة في التّعبير عن تجربته الشعوريّة، فيخرج الخطاب من اللّغة العاديّة إلى اللّغة الشّعريّة، ويفعّل بذلك عنصر المفاجأة والجذب لدى المتلقي، وفي هذا تكمن وظيفة الانزياح الرئيسية.

وقد زامن تداول مصطلح الانزياح والتّعاطي معه ظهور حركة التّجديد في الشّعر العربي ما جعله ينال حظا وفيرا من البحث والدّراسة لدى النّقاد المعاصرين، غير أنّه كفكرة له جذور ضاربة في عمق الدّرس البلاغي والنّقدي القديم.

ويرى جلّ المنظرين المعاصرين أنّ الانزياح كمصطلح هو الأنسب فنيّا وبلاغيّا لبعده عن اللّبس، وسلامته من الاستهلاك المعرفي مقارنة بصنويه "العدول" و"الانحراف".

ويبقى الانزياح منهج المبدع -قديما وحديثا-في صياغة تجربته الشّعريّة بتكريس جماليات المفاجأة والدّهشة التي يحدثها بنفس المتلقي.

6. قائمة المراجع:

1-أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع-بيروت/لبنان، ط1، سنة:2005م.
2-أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، ط1، سنة:2008م، مج3.
3- الجاحظ، البيان والتّبيين، باب البيان، دار ومكتبة الهلال-بيروت/لبنان، ط1423هـ،ج1.
4- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، الهيئة المصريّة العامة، ط3، سنة:1987م، ج2.
5- ربابعة موسى، الأسلوبيّة مفاهيمها وتجلّياتها، دار الكندي-إربد/الأردن، ط1، سنة:2003م.
6- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط"،سنة:1408هـ/1988م، ج1.
7- طه مصطفى أبو كريشة: النّقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط1،سنة: 1997م.
8- علي مهدي زيتون: إعجاز القرآن وأثره في تطور النّقد الأدبي، دار المشرق، ش م م، دت، دط.
9- عبد القادر هني: نظرية الإبداع في النّقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة:1999م.
10- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التّنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت /لبنان ، ط1، سنة:2005م.
11- عبد السّلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتّحدة- دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط5، سنة:2006م، طرابلس/ليبيا.
12- العربي قلايلية: مدخل إلى التحليل اللساني (اللّفظ، الدلالة، السياق)، ديوان المطبوعات الجامعية، دون طبعة، دون سنة.
13- ابن فارس، مقاييس اللّغة، دار الفكر، سنة:1979م، ج5.
14- لخوش جار الله حسين، البحث الدّلالي في كتاب سيبويه، منشورات دار دجلة، ناشرون وموزعون-الأردن، ط1، سنة:2007م.
15- ماهر مهدي هلال، رؤى بلاغيّة في النّقد والأسلوبيّة، المكتب الجامعي الحديث، ط2006م.
16- محمد العمري، البلاغة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق-بيروت/لبنان، ط1999م.
17- محمد عبد المطلب: جدلية الإفراد والتركيب في النّقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط1، سنة:1995.
18- مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، مطبعة المجمّع العلمي العراقي، سنة:1987م، ج3.
19- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ز ح)، دار صادر-بيروت/ لبنان، سنة:1997م، مج2.
20- نعيم اليافي، أطياف الوجه الواحد: دراسات نقديّة في النّظريّة والتّطبيق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب-دمشق، سنة:1997م.

المقالات

1-إسماعيل شكري، نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكر ونقد، العدد:23، نوفمبر1999م.
2-نعيم اليافي، الانزياح والدّلالة، الفيصل، العدد226، أوت/سبتمبر، 1995م.

8. هوامش البحث:

1ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ز ح)، دار صادر-بيروت/ لبنان، سنة:1997م، مج2، ص614.
2 ابن فارس، مقاييس اللّغة، دار الفكر، سنة:1979م، ج5، ص415.
3ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، ط1، سنة:2008م، مج3، ص2191-2192.
4 إسماعيل شكري، نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكر ونقد، العدد:23، نوفمبر1999م ، ع23.
5 أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع-بيروت/لبنان، ط1، سنة:2005م، ص11.
6 لخوش جار الله حسين، البحث الدّلالي في كتاب سيبويه، منشورات دار دجلة، ناشرون وموزعون-الأردن، ط1، سنة:2007م، ص297.
7 سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط"،سنة:1408هـ/1988م، ج1، ص24.
8 الجاحظ، البيان والتّبيين، باب البيان، دار ومكتبة الهلال-بيروت/لبنان، ط1423هـ،ج1، ص81.
9ينظر: ماهر مهدي هلال، رؤى بلاغيّة في النّقد والأسلوبيّة، المكتب الجامعي الحديث، ط2006م، ص 107.
10 المرجع نفسه، ص 100.
11مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، مطبعة المجمّع العلمي العراقي، سنة:1987م، ج3، ص 55.
12ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد عي النّجار، الهيئة المصريّة العامة، ط3، سنة:1987م، ج2، ص 362.
13ينظر: ربابعة موسى، الأسلوبيّة مفاهيمها وتجلّياتها، دار الكندي-إربد/الأردن، ط1، سنة:2003م ، ص51.
14ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص،ج2، ص442-444.
15 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التّنجي، دار الكتاب العربي، بيروت /لبنان، ط1، سنة:2005م، ص47.
16ينظر: محمد عبد المطلب: جدلية الإفراد والتركيب في النّقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط1، سنة:1995، ص 156.
17ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 2005، ص52.
18ينظر: علي مهدي زيتون: إعجاز القرآن وأثره في تطور النّقد الأدبي، دار المشرق، ش م م، دت، دط، ص 133.
19 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص276.
20 المصدر نفسه، ص162.
21المصدر نفسه، ص211.
22ينظر: طه مصطفى أبو كريشة: النّقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط1،سنة: 1997م، ص 201.
23 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص73.
24 المصدر نفسه، الصفحة نفسها
25عبد القادر هني: نظرية الإبداع في النّقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة:1999م، ص 46.
26العربي قلايلية: مدخل إلى التحليل اللساني (اللّفظ، الدلالة، السياق)، ديوان المطبوعات الجامعية، دون طبعة، دون سنة، ص 46.
27 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 332.

28 المصدر نفسه، ص 177.
29 أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، ص 41.
30محمد العمري، البلاغة أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق-بيروت/لبنان، ط1999م، ص 263.
31ينظر: أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، ص 31.
32عبد السّلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتّحدة- دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط5، سنة:2006م، طرابلس/ليبيا، ص 76.
33المرجع نفسه، ص 77-78.
34ينظر: المرجع نفسه، ص 83-84.
35ينظر: المرجع نفسه، ص 84.
36المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
37المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
38 أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة، ص 07.
39 المرجع نفسه، ص 07.
40ينظر: المرجع نفسه، ص 57.
41ينظر: المرجع نفسه، ص 33.
42ينظر: المرجع نفسه، ص 81.
43ينظر: المرجع نفسه، ص 109-141.
44المرجع نفسه، ص 156.
45ينظر: نعيم اليافي، الانزياح والدّلالة، الفيصل، العدد226، أوت/سبتمبر، 1995م، ص 28-31.
46نعيم اليافي، أطياف الوجه الواحد: دراسات نقديّة في النّظريّة والتّطبيق، منشورات اتحاد الكتّاب العرب- دمشق، سنة:1997م، ص 92.
47ينظر: نعيم اليافي، الانزياح والدّلالة، ص 28.
48 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
49ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
50 المرجع نفسه، ص 30.